الدولة الفاطمية فى الهند

بقلم : محمد اسماعيل الندوى

لقد أولى مؤرخو العرب جانبا كبيرا من الاهمية للدولة الفاطمية فى مصر والمغرب العربى ، ولكنهم لم يقفوا طويلا فى اليمن التى ظلت مركزا كبيرا للدولة الفاطمية ، والتى لا تقل فى أهميتها عن مصر فى كثير من الأحيان ، كما أنهم لم يقفوا برهة فى الهند الفاطمية ظانين أنه لم تكن فيها الا بعض الجاليات للفاطميين (١) ، ولذلك حاولت أول مرة أن أقدم صورة جامعة موجزة للدولة الفاطمية فى الهند .

ويحسن بنا قبل بدء الكلام على قيام الحركة الفاطمية فى الهند والاسباب التى دعت الى ذلك ، أن نقف وقفة يسيرة لنتحدث عن حكام العرب فى الهند خلال هذه الفترة . لقد حاول العرب دائما أن يفرقوا بين الهند والسند ، مع أن السند هى ولاية من ولايات الهند التى لم تنفصل عنها طوال تاريخها وحتى الآن تعتبر من أهم ولايات الباكستان الغربية ، وكذلك فرق الفاطميون بين الهند والسند لانهم أنشأوا مركزين كبيرين لهم فى الهند : الاول فى السند التى تقع فى شمال الهند والثانى فى كجران التى تقع فى ولاية بمباى فى جنوب الهند فكانوا يريدون بالسند مركزهم فى شمال الهند ، وبالهند مركزهم فى الجنوب وكان عام ٩٣ هـ نقطة تحول فى تاريخ الهند اذ أن الجيوش العربية الاسلامية بقيادة محمد بن القاسم الثقفى اكتسحت ولاية السند الشهيرة التى ظلت مهد الحضارة الآرية والبوذية الى قرون طويلة ، وضمتها الى حظيرة الامبراطورية الاسلامية ، ومركزها دمشق ، وكانت مدينة **الملتان** أول عاصمة للمسلمين فى السند ، وتولى أمر السند بعد محمد بن القاسم الامير داود بن نصر بن وليد العمانى ثم ظل يحكمها **ولاة الامويين** فى دمشق سنين حتى وقعت الفرقة فى صفوف العرب وبدأت الخصومات والمنازعات فيما بينهم مما أدى الى قيام دويلات شتى فى أنحاء ولاية السند ومن أشهرها **الملتان والمنصورة** . وكان يحكم المنصورة هشام بن عمر التغلبى الذى استولى على الملتان أيضا فيما بعد سنة ١٥١ هـ . وقد استمرت هذه الخصومات الى أن تم استيلاء بنو سامة على الملتان . وكان بنو سامة من قبيلة قريش ، واعتلى نجمهم سماء السند من سنة ٢٧٩ هـ . وفى هذه الآونة كانت تحكم المنصورة قبيلة عربية أخرى تدعى « هبارى » ولما جاء المسعودى الى السند سنة ٣٠٣ هـ كان أبو اللباب منبه بن أسد القريشى من بنى سامة يحكم الملتان واستمرت دولة بنى سامان بعده فى الملتان الى سنة ٣٧٢ هـ (١)

ومن الجدير بالذكر أن هؤلاء رغم خلافاتهم ومنازعاتهم الشديدة كانوا يخطبون للخليفة العباسى ولم يزل يعتبر هذا الاقليم جزءا من الدولة العباسية .

وفى هذه الفترة من الزمان اشتدت الدعوة الفاطمية من حيث نشأتها وتطورها ، وأننا نبدأ الكلام عن عصر محمد بن اسماعيل ابن جعفر الصادق الذى خلف أباه اسماعيل بن جعفر وقت الخلافات الشديدة بين العباسيين والشيعة مما أدى الى أن يترك المدينة المنورة ويلجأ الى الهند ، حيث اختفى فيها سنين ثم ظهر فجأة فى الكوفة سنة ١٧٠ هـ فى عهد هارون الرشيد (٢) ولعل هذه كانت أول نواة لظهور الدعوة الفاطمية فى الهند ثم انتقل محمد الى الرى وبقى فيها الى أن مات سنة ١٨٣ هـ فقد أصبحت الرى مركزا للدعوة الفاطمية بعدما اعتنق أميرها اسحاق بن عباس الفارسى النزعة الفاطمية (٣) . ولذلك لعبت الرى أروع دور فى تاريخ الفاطميين كمركز لدعوتهم ، ثم خلفه ابنه عبد الله بن محمد بن اسماعيل الملقب بعبيد الله . ولقد حاول الدكتور زاهد على الفاطمى أن يصحح أخطاء المؤرخين الذين فهموا أن اسمه عبيد الله ، لانه تلقب به نفيه لما كان فى مصر والمغرب فى محاولة قيام الدولة الفاطمية . لقد انتقل عبيد الله بعد موت أبيه الى فرغانة ثم الى الديلم ، ولذلك أصبحت هذه البلدان كلها فى نفوذ الدعوة الفاطمية ، ولقد استبقى عبيد الله نفسه فى « الديلم » وأرسل أخا له هو حسين بن مكتوم الى « فرغانة » وابنه على بن عبد الله الى « نهاوند » ليتزعموا الدعوة الفاطمية فى هذه المناطق .

لقد اتخذ هؤلاء وسائل شتى لنشر دعوتهم ، فكانت هذه الدعوة فى صبغة دينية وفلسفية ، وكان طريقهم فى نشرها على أحدث طرق لم تعرفها أى طائفة من الطوائف الاسلامية فى ذلك الحين . ومن أهم مميزاتها أنهم استخدموا الزهد والعبادة أول مرة كأداة للتبشير واغراء الناس كما تعلموا الشعوذة والنارنجيات ، والزور ، والنجوم والكيمياء ليحتالوا بها على الناس ، بالاضافة الى برنامجهم الكامل لتربية الناس وتثقيفهم

---

(١) أنظر تاريخ الحضارة المصرية جـ ٢ ص ٤٤٩ مقالة الدكتور جمال الدين الشيال .

(١) تاريخ سنة هـ (أى تاريخ السنة باللغة الاردية) للاستاذ أبو ظفر الندوى جـ ٢٠٥ .

(٢) تاريخ فاطميين مصر (أى تاريخ الدولة الفاطمية فى مصر باللغة الاردية) للدكتور زاهد على الفاطمى نقلا عن كتاب دستور المنجمين المخطوط .

(٣) نفس المصدر جـ ٣١ .

على اختلاف طبائع الناس ومستوياتهم الفكرية ، ومبادىء التناسخ والحلول التى أخذوها من الهنود (١) .

لم يبق عبيد الله طويلا فى « الديلم » بل سرعان ما انتقل الى « الاهــواز » ومنها الى « سامرة » وأخيرا الى مدينة « سلمية » التى كانت تقع فى بلاد الشام والتى أصبحت فيما بعد مركزا رئيسيا للدعوة الفاطمية (٢) .

لقد بدأت الحركة الفاطمية فى اليمن منذ عصر محمد بن جعفر الصادق ، لانه بعث الى اليمن أبا القاسم رستم بن الحسين بن فرج بن حوشب الكوفى ، وقال له « ليس لليمن الا أنت » فدخل ابن حوشب اليمن بمصاحبة داع آخر يسمى على بن الفضل ، ودعا كلاهما للرضى من آل محمد (٣) . ثم بنى هؤلاء بجبل لاعة وفتحوا مدائن كثيرة وفرقوا دعاتهم فى أنحاء شتى مثل البحرين ، واليمامة ، والسند والهند ، ومصر والمغرب (٤) . كذلك بعث عبيد الله سنة ٢٧٠ هـ من مركزه « سلمية » رجلا يسمى هيثم (٥) لنشر دعوته فى السند ، واستمر فى ارسال دعاته الى السند حتى بعد انتقاله الى شمال افريقية . ولهذا استطاع هؤلاء الدعاة أن يقوموا بنشر الدعوة الفاطمية فى السند على نهج معروف لهم وهو التقية . وهؤلاء الدعاة هم الذين مهدوا السبل فى السند لقيام الدولة الفاطمية على منوال مصر والمغرب العربى واليمن فيما بعد ، وقد ركز هؤلاء جهودهم كلها فى « الملتان » اذ لم تكن الظروف فى المنصورة مهياة لنشر دعوتهم فى ظل الهباريين .

لقد حكم الملتان بنو سامة الى سنة ٣٧٢ هـ ، وكانت الدعوة الفاطمية فيها فى أوج نشاطها سريا ، تمهد السبل للثورة الفاطمية فى الملتان . ولما تولى الحكم فى مصر العزيز بالله الفاطمى الذى دامت حكومته أكثر من واحد وعشرين عاما من سنة ٣٦٥ ــ سنة ٣٨٦ هـ ، دخلت الدولة الفاطمية مرحلة حاسمة من التاريخ اذ أصبحت للفاطميين امبراطورية واسعة تضم المغرب ، ومصر ، واليمن والجزيرة العربية والشام وجزيرة صقلية ، وفاقت أحيانا الخلافة العباسية قوة ونفوذا واتساع ملك ، فكون العزيز بالله جيشا قويا لتوسيع نطاق بلاده ، ولحماية دولته الكبيرة المترامية الأطراف ، ولم يكتف بأنه يحكم أكبر دولة اسلامية فى الشرق الاوسط ، بل طمع فى ضم السند العباسية أيضا بعد ما انضمت الى نطاق الدولة الفاطمية كثير من بلاد خراسان مثل الديلم والرى ومكران وقم وقاشان . فأرسل جيشا سريا تحت قيادة جلم بن شيبان الى السند عن طريق خراسان لأن معظم البلدان فى خراسان كانت فى نفوذ الفاطميين ، ثم وصل الى مكران ومنها الى الملتان . ولم يذكر أحد من المؤرخين أن جلم بن شيبان فتح الملتان عنوة ، بل يذهب بنا الظن الى أن الفاطميين فى الملتان كانوا على أهبة الاستعداد للقيام بالثورة ، وكانوا يترقبون الفرصة وينتظرون الى حماية لهم فى مصر ، فلما جاء الجيش الى ملتان ، قام الفاطميون بالثورة ودخلها الجيش بدون أية مقاومة (٦) .

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء لتقى الدين أحمد بن على المقريزى جـ ٦٣ وكتاب « تاريخ الدولة الفاطمية للدكتور حسن ابراهيم حسن جـ ٤١٧ .

(٢) تاريخ فاطميين مصر جـ ٣٤ .

(٣) اتعاظ الحنفاء ص ٦٧ .

(٤) تاريخ ابن خلدون ٤ : ٣١ .

(٥) تاريخ سند هـ ص ٢٥٦ .

(٦) تاريخ سـ‥ هـ ص ٢٥٦ .

فكان جلم بن شيبان أول حاكم فى الملتان من قبل العزيز بالله الفاطمى لانه خطب وسك النقود باسمه . وفى هذه الآونة أى سنة ٣٧٥ هـ ، زار الملتان الرحالة الشهير محمد بن أحمد بن أبى بكر المقدس البشارى وقال فيها : « **وأما الملتان فيخطبون للفاطمى ولايحلون ولايعقدون الا بامره ، وابدا رسلهم وهداياهم تذهب الى مصر وهو سلطان قوى** » (١) .

وقال فى موضع آخر : « **واهل الملتان شيعة يهوعلون فى الآذان ويثنون فى الاقامة** » (٢) .

وعلى الرغم من قيام الدولة الفاطمية فى الملتان فانه لم يطرأ على المجتمع الاسلامى هنــاك أى تغيير من الناحيــة الخلقية والدينية كما قال المقدس : « **ليس عندهم زنا ، ولا شرب خمر ، ومن ظفروا به يفعل ذلك قتلوه أو حدوه ، ولا يكذبون فى بيع ولا يبخسون فى كيل ، ولا يخسرون فى وزن ، يحيون الغرباء وأكثرهم عرب ، شربهم من نهر غزير ، والخير بها كثير ، والتجارب حسنة والنعم ظاهرة ، والسلاطين عادلة ، لا ترى فى الأسواق امرأة متجملة ، ولا أحد يحدثها ، ماء مرىء ، وعيش هنىء ، وظرف ، ومروءة ، وفارسية مفهومة** » (٣) .

كان جلم بن شيبان يحكم البلاد بالعدل والانصاف ، مع أنه أظهر فى البداية تعصبا شديدا نحو أهل السنة ، ورجال الدين الهندوكيين بخلاف الأمويين الذين اشتهروا بالعدل والمساواة مع جميع الطبقات . ولما فتح السند محمد بن القاسم الثقفى أعطى حرية كاملة للهندوكيين والبوذيين وسمح لهم برحابة صدر أن يؤدوا شعائرهم الدينية الا انه وضع لحوم البقر على أعناق أقدس الاصنام فى المعابد ليثبت أنها حقيرة ، فلا تملك من النفع والضرر شيئا (٤) . ولكن جلم بن شيبان هدم معبدهم الكبير فى الملتان الذى لم يمسه من قبل أحد من الحكام العرب ، وحوله الى مسجد فاطمى ثم أغلق المسجد الذى بناه محمد بن القاسم ، لاظهار عداوته نحو الامويين (٥) ، ولم يكتف جلم بن شيبان بهذا التعسف بل هدم أيضا معبدا كبيرا كان بمثابة الكعبة للهندوكيين ، كان يحج اليه الناس من كل فج عميق ويتبركون به (٦) . ولكنه لم يبد ذلك التعصب فى سياسته الخارجية لانه أول حاكم عربى فى الهند ارتبط بمعاهدات سلمية مع ملوك الهندوكيين المجاورين ووطد معهم علاقات قوية ، كان جلم بن شيبان بصيرا فى هذه السياسة مقدرا الظروف بكل دقة ، لانه كان من المستحيل عليه أن يعيش فى سلام بغير هذه المعاهدات والروابط ، اذ كان أهل السنة يحيطون به فى المنصورة وكانت بغداد على مقربة من السند اذا قسنا مسافة مصر الفاطمية بالهند .

وفى هذه الآونة ضعفت الدولة السامانية فى خراسان وما وراء النهر وقامت دولة الغزنويين على أنقاضها على يد سبكتكين ابن التبكينى الذى غزى الهند وهزم الملك الهندوكى فى لاهور (التى تقع الآن فى باكستان الغربية) ثم توجه الى حميد بن جلم بن شيبان ، ولكن جلم بن شيبان عقد صلحا معه سنة ٣٨٢ هـ ، بشرط أن يدفع له الخراج سنويا . ولما تولى الحكم محمود بن سبكتكين سنة ٢٨٩ هـ توجه الى الهند وشن الغارات

---

(١) أحسن التقاسيم ص ٤٨٥ .

(٢) نفس المصدر ص ٤٨١

(٣) نفس المصدر ص ٤٨٠

(٤) تاريخ سند ـ ص ٢٧٠

(٥) تحقيق ما للهند للبيرونى ص ٥٧٤ .

(٦) تاريخ سند هـ نقلا عن طبقات ناحرى ص ٧ .

على كثير من ملوك الهندوكيين ، وكان أبو الفتح داود بن نصر الفاطمي يحكم الهند في هذه الفترة ، وقد اشتهر هذا الرجل بتعصبه لعقيدته الفاطمية الى حد أن المؤرخين اعتبروه من الملاحدة (١) ، وطبقا للعلاقات الوثيقة مع الهندوكيين والمعاهدات السابقة مع هؤلاء الملوك ، لم يساعد أبو الفتح محمود الغزنوي في معركته ضد ملك « جي راد » في لاهور فغضب عليه محمود غضبا شديدا ، وتوجه نحوه بجيش جرار سنة ٣٩٦ هـ وهزمه وقبض عليه وحمله معه الى غزنة حيث توفي أبو الفتح ، وبهذا انتهت الدولة الفاطمية في الملتان .

ولم ييأس الفاطميون من جراء هذه الهزيمة ، ومن سقوط دولتهم في الملتان بل ركزوا جهودهم الآن في المنصورة القطر الآخر للسند التي انفصلت عن الملتان في وقت مبكر أيام عهد الطوائف في السند ، والتي كان يحكمها بنو هبارى ولم يستطع الفاطميون التغلب عليها حتى الآن ، لأنها كانت حصنا حصينا ، وقد شاهدها المقدس على تلك الحال أثناء زيارته للملتان سنة ٣٧٥ هـ وقال فيها : « **واما المنصورة فعليها سلطان من قريش يخطبون للعباسي ، وقد كانوا خطبوا على عضد الدولة ، ورأيت رسولهم قد وافى ابنه ونحن بشيراز** » . ثم تحدث عن الحركة العلمية في هذا الاقليم فقال : « **أكثرهم أهل حديث ، ورأيت القاضي أبا محمد المنصوري داوديا اماما في منهبه ، وله تدريس وتصانيف ، قد صنف كتبا عدة .. ولا تخلو القصبات من فقهاء على مذهب أبي حنيفة رحمه الله ، وليس به مالكية ، ولا معتزلة ولا عمل للحنابلة ، انهم على طريقة مستقيمة ، ومذاهب محمودة، وصلاح وعفة ، قد أراحهم الله من الغلو والعصبية ، والهرج والفتنة** » . ثم تناول جانب الطبيعة في هذه المنطقة وقال : « **هي قصبة السند ، ومصر الاقليم تكون مثل دمشق ، بناؤهم خشب وطين ، والجامع حجر وآجر ، كبير مثل جامع عثمان ، على سواري ساج ، لها أربعة أبواب ، باب البحر ، باب طوران ، باب سندان ، باب الملتان ، ولهم نهر بالبلد وهم على لباقة ولهم مروءة وللاسلام عندهم طراوة** » .

ولم تلبث المنصورة أن سقطت في يد الفاطميين الذين كان لهم نشاط فيها منذ عهد عبيد الله المهدي ، وقد بعث عبيد الله أهل سومرة لنشر دعوته فيها (وسومرة هي مدينة أنشأها المعتصم بالله لقوم الفرغانة « وهم سكان سمرقند واسر وستة وفرغانة » وسماها « سر من رأى » فرضها الناس سامرا) (٢) وكان هؤلاء يدعون الناس الى الفاطمية بطريق سري معروف لهم ، ولما سقطت الملتان على يد محمد بن سبكتكين ، انتقل جميع دعاة الفاطميين الى المنصورة ومهدوا لهم السبل وقاموا بالثورة كما قاموا بها من قبل في الملتان (٣) . ولا نعرف على وجه التحديد من أي عام قامت هذه الثورة ، ومن الذي قادها ، وكل مانعرف عن الفاطميين فيها أن ابن الاثير ذكر في حوادث سنة ٤١٦ هـ أن القرامطة كانوا يحكمونها ، وفي سنة ٤١٧ حكمها رجل يسمى خفيف واستمر حكمه الى أن مات سنة ٤٢٤ هـ .
ولم تبق الدولة الغزنوية قوية متينة بعد وفاة محمود بن سبكتكين بل سرعان ما تسرب اليها الضعف والانحلال مما أدى الى احتلال السلاجقةمحل الغزنويين فيخراسان وما وراء النهر كما أدى في الهند الى هزيمة السلطان عبد الرشيد بن محمود ابن سبكتكين سنة ٤٤٤ هـ على يد قرامطة المنصورة . وبهذا انضمت الملتان الآن الى المنصورة الفاطمية واستمر حكم الفاطميين في كل من الملتان والمنصورة الى أن جاء شهاب الدين محمد الغزنوي على رأس جيش تركي قوي سنة ٥٨٢ هـ .

وفي أيام المستنصر (المتوفى سنة ٤٨٧ هـ) كانت تقضي مصر الفاطمية آخر أيامها اذ كان ينتظر هناك أي بركان قوي ينفجر ويقضي على هذه الدولة نهائيا من مصر وقد أدرك ذلك المستنصر بذكائه وبصيرته ، لأن الخلافات بين أبنائه نزار والمستعلي بلغت الى الذروة ، فأراد المستنصر أن ينتقل مركز الدعوة الفاطمية من مصر الى اليمن السعيدة ، لأن اليمن كانت أرضا سعيدة في نظر الفاطميين ، وكان لهم فيها نشاط كبير ودولة قوية منذ قرنين تقريبا (١) فأرسل المستنصر هبة الله بن موسى المشهور بالمؤيد الشيرازي لتعود الدولة الفاطمية في كل من اليمن والهند والسند ، ففتح المؤيد الشيرازي مدنا كثيرة في اليمن واندمج في الدولة الفاطمية ثم أصبحت هذه الدولة قوية منتشرة في عهد علي بن محمد الصليحي سنة ٤٥٤ هـ (٢) .

لقد ركز المؤيد الشيرازي جهوده كلها في كجرات في ولاية بمباي بجنوب الهند اذ كانت الملتان والمنصورة تحت الحكم الفاطمي في هذه الآونة ، وقد لعب هؤلاء الدعاة اليمنيون أروع دور في جنوب الهند لنشر الدعوة الفاطمية فأسلم آلاف من الهندوكيين وقيل ان ملك هتنابور في بمباي اعتنق هذا الدين على يد دعاة الفاطميين من أمثال أحمد وعبد الله ونور محمد الزين أوفدوا من اليمن لهذه المهمة خلال سنوات ٤٢٧–٤٨٧ هـ ثم اعتنق الاسلام ملك هندوكي آخر يسمى « راجاجي » في « كصمبايت » وأدى ذلك الى اسلام آلاف من الهندوكيين وبهذا أصبحت ولاية بمباي مركزا ثانيا بجانب المركز الأول للدولة الفاطمية وهو السند (٣) . لقد ظلت كلمن السند وولايةبمباي معقلين كبيرين للدعوة الفاطمية الى سنة ٥٨٢ هـ مع أن الخطبة باسم الخليفة المصري قد انقطعت بعد موت الخليفة الآمر بأحكام الله سنة ٥٢٤ هـ لأن الدولة الفاطمية قد ذهبت من مصر بغير رجعة ولذلك ربطوا صلتهم مع الخليفة الفاطمي فياليمن وخطبوا باسمه (٤) .

لقد غزا الهند في هذا العام قائد تركي شهير هو شهاب الدين محمد الغوري الذي هزم كثيرا من الملوك الهندوكيين ومن بينهم (برتهوي راج) ملك طائفة الراجبوت في دهلي وأنشأ حكومة قوية في الهند مركزها دهلي ثم توجه الى الفاطميين في الملتان والمنصورة وهزمهم شر هزيمة لانه كان من أهل السنة ويكره الشيعة كرها شديدا ولكنه لم يستطع أن يستأصل شأفة الفاطميين من السند لان الفاطميين نظموا أنفسهم سريا وقاموا بدعوتهم بحيث لا يعرفها الأتراك . قد اتسع نطاق دولة شهاب الدين من خراسان الى ولاية السند وولاية اتار براديش ، وبنجاب في الهند ولم ينجب شهاب الدين أولادا ولذلك لما توفي سنة ٦٠٢ هـ انقسمت دولته العظيمة بين مماليكه الثلاثة ، وهم تاج الدين يلدوز الذي ملك خراسان وناصر بن قباجة الذي ملك السند ، وقطب الدين أيبك الذي ملك دهلي . ومن ذلك التاريخ بدأ عصر المماليك في الهند ، وكان هذا العصر عصر ازدهار علوم وفنون في الهند .

وفي السند لما توفي ناصر الدين قباجة قامت الاضطرابات والفتن سنة ٦٢٠ هـ التي أدت الى قيام ثورة فاطمية مرة ثالثة. ومن المعروف أن الفاطميين كان لهم تنظيم سري في الهند رغم سقوط دولتهم ، كان محمد تور سومرة قائد الثورة في هذه

---

(١) تاريخ سند هـ ص ٣٦٥ نقلا عن فرشته ١ : ٢٤
(٢) تاريخ ابن خلدون ٣ : ٢٥٧ .
(٣) تاريخ سند هـ ص ٢٨٧ .

(١) تاريخ فاطميين مصر ص ٣٥٦ .
(٢) تاريخ فاطميين مصر ص ٣٦٠ .
(٣) تاريخ فاطميين مصر ص ٣٧١ .
(٤) تاريخ سند هـ ص ٣٢٤ .

المرة ولما توفى شمس الدين التمس (من ثانى ملوك المماليك فى دهلى) نشأت الخلافات بين ابنه فيروز بن شمس الدين وبنته « رضية سلطانة » حتى انتصرت « رضية سلطانة » على أخيها وتولت الحكم ورغم ذلك لم يخل الجو من القلق والاضطرابات فقد انتهز الفاطميون فى السند هذه الفرصة ، ودخلوا مسجد دهلى مسلمين سنة ٦٣٤ هـ وقتلوا ونهبوا آلافا من الناس وكانوا يقصدون بذلك اثارة البلبلة والاضطراب ليقوموا بالثورة ولكن محاولتهم أخمدت بالقوة . وهكذا عاش الفاطميون سنين طويلة يفشلون وينجحون حتى بدأت هجمات التتار على الملتان والمنصورة وتغلبوا على الفاطميين ، وقتلوا آلافا منهم وسلبوهم ونهبوهم حتى قضى عليهم الى الأبد ، ولذلك لا نجد أى أثر للفاطميين فى السند منذ سنة ٦٥٤ هـ لقد صد المماليك فى دهلى جميع هجمات التتار ، وثبتوا أمامهم وردوا كيدهم ، ولذلك لم يتوغل التتار فى قلب الهند فى حين اكتسحوا جميع البلاد الاسلامية بما فيها بغداد ودار السلام .

وأما المركز الثانى للفاطميين بالهند وهى ولاية « بمباى » فقد ظلت الدولة الفاطمية فيها لأن العرب والاتراك الذين حكموا فى شمال الهند لم يحاولوا حتى الآن فتح جنوب الهند ، ومن ثم بقيت جنوب الهند منفصلة عن الهند مع أن الاسلام قد انتشر فى كثير من ولايات جنوب الهند مثل « مدراس » و « مالابار » على يد تجار العرب والقبائل العربية كما انتشر فى كجرات (فى ولاية بمباى) على يد الدعاة الفاطميين فى اليمن . ولعل علاء الدين خلجى (٦٩٥ – ٧١٥ هـ) أول ملك فى شمال الهند شن الغارات على ملوك جنوب الهند ، وفتح بلدانا كثيرة من بينها ولاية بمباى معقل الفاطميين فى جنوب الهند ، ومنذ ذلك الحين فقد الفاطميون نفوذهم السياسى فى جنوب الهند أيضا ، وان ظلت ولاية بمباى كمركز للدعوة الفاطمية الى قرون طويلة ، ثم نشأت الخلافات بين خلفاء علاء الدين التى أدت الى قيام دول الطوائف فى الهند فانفصلت جنوب الهند وبدأ يحكمها الملك أبو المظفر ابراهيم شاه « ٧٥١ – ٧٨٠ هـ » وفى تلك الفترة نشبت خلافات بين الفاطميين أنفسهم أدت الى ضعف قواهم وكان من أشهر دعاتهم فى القرن الثامن شمس الدين بن عبد الله بن عبد الله (٧٣٢ هـ) ثم سيدنا على شمس الدين بن ابراهيم (١)

كان ادريس بن حسن الملقب عماد الدين (٨٣٢ – ٨٧٢ هـ) أكبر زعيم للفاطميين فى اليمن وهو الذى ألف أشهر كتب فى العقائد الفاطمية مثل (عيون الأخبار) و (روضة الأخيار) و (نزهة الأفكار) التى لا تزال تعتبر من أهم المراجع عند الفاطميين . ولم يبق للفاطميين الآن فى اليمن ذلك النفوذ السياسى والنشاط الفكرى الذى جعل اليمن مركزا للفاطميين فى العالم . وقد أدرك ذلك ادريس ابن حسن كل الادراك ، ومن ثم فكر فى نقل المركز من اليمن الى الهند لأن الهنود فى نظر الفاطميين كانوا أصلح الناس لقيام هذه الدعوة ولذلك بدأت المحاولات (٢) ثم خلفه أربعة زعماء فى اليمن ، كان آخرهم محمد عز الدين بن حسن بن ادريس الذى طلب من الداعى الفاطمى فى الهند سنة ٩٤٦ هـ أن يبعث اليه بعدد من الشبان يدربهم على القيام بدعوة الفاطميين بعد عودتهم الى الهند لأن اليمنيين لم يصلحوا لذلك ، فأوفد اليه عددا ، كان من أبرزهم شاب من كجرات وهو يوسف بن سليمان . ولما عاد هؤلاء الدعاة الى الهند بدأت الحركة الفاطمية بنشاط وقوة وأصبحت مدينة أحمد آباد فى ولاية بمباى مركزا لهم فى الهند (٣) ولا تزال تعتبر هذه المدينة مركز الطائفتين من الفاطميين وهم « الاسماعيلية » أتباع أغاخان و « بوهرا » أتباع الملا سيف الدين .

---

(١) تاريخ سند هـ ص ٧٤٦

(٢) تاريخ فاطميين مصر ص ٣٦٥ – ٣٧٧ .

(٣) تاريخ فاطميين مصر ص ٣٦٨ .